بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

أرجو بإضافة هذا الكتاب إلى المكتبة العربية أن أكون قد ساهمت بجهد جديد يضاف إلى تلك الجهود العديدة التى بذلت لعلم الاجتماع فى مصر ، والتى بدأت منذ أكثر من عشرين عاماً على يد الأساتذة المصريين الذين حققوا وجود هذا العلم فى جامعاتنا المصرية، وأذكر منهم الأستاذ الدكتور على أحمد عيسى أستاذ كرسى الاجتماع بجامعة الإسكندرية والذى أنشأ له مدرسة خاصة فى هذا الميدان ، بدأ بناءها فى جامعة الإسكندرية فى سنة ١٩٤٢ ، وكان له الفضل بذلك فى تخريج عدد كبير من دارسى هذا العلم والباحثين فيه، كما أذكر أيضاً الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى ، وكان أول أستاذ مصرى يتولى كرسى الاجتماع بجامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت أستاذ كرسى الاجتماع بجامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور حسن الساعاتى أستاذ كرسى الاجتماع بجامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور حسن سعفان أستاذ كرسى الاجتماع بجامعة الأزهر . كان لكل هؤلاء نصيبهم الكبير فى نشر هذا العلم والنهوض بدراساته فى الجامعات المصرية ، بل إن جهودهم قد تخطت نطاق الجامعة إلى المجتمع الأكبر فساهموا فى دراسة كثير من مشكلاته ، كما وضعوا عدداً كبيراً من الكتب والمقالات فى مجالات علم الاجتماع المختلفة .

وكما أشرت إلى عدد من علمائنا المصريين ، أرى واجباً علىّ وأنا أقدم لهذا الكتاب فى علم الاجتماع أن أشير إلى جهود بعض الأساتذة الأجانب الذين جاءونا زائرين فى جامعاتنا ، وكان لهم فضل كبير فى هذا المجال ، وكان أولهم فى ذلك البروفسور إيفانز بريتشارد أول أستاذ لكرسى الاجتماع بجامعة القاهرة وذلك فى سنة ١٩٣٢ ، والمرحوم البروفسور أرثر موريس هوكارت أستاذ كرسى الاجتماع بجامعة القاهرة ابتداء من سنة ١٩٣٤ حتى توفى فى مصر سنة ١٩٣٩ ، كما أخص بالذكر أيضاً المرحوم البروفسور رادكليف

براون أحد مؤسسى علم الاجتماع المقارن والذى عين أستاذاً بجامعة الإسكندرية فى سنة ١٩٤٨ . ولم يغادر الإسكندرية إلا وكان قد أنشأ فيها معهد العلوم الاجتماعية بكلية الآداب . ويهمنا فى هذا المعهد أثره الكبير فى نشر الوعى الخاص بالدراسات الاجتماعية العلمية بعد أن أخذ على عاتقه مهمة تخريج عدد كبير من دارسى علم الاجتماع ابتداء من سنة ١٩٥٠ ؛ ولا يزال مستمراً فى رسالته هذه حتى الآن ، وقد استفاد هؤلاء الخريجون من معهدهم كما أفادوا بلادهم فى كثير من الميادين الاجتماعية سواء ما تعلق منها بالجامعة أو بالهيئات العلمية الأخرى . كما يهمنى أن أشير أيضاً ونحن بصدد الكلام عن معهد العلوم الاجتماعية إلى المرحوم البروفسور زدنك أولرخ الذى أصبح مديراً لهذا المعهد ابتداء من سنة ١٩٥٠ حتى سنة ١٩٥٤ حين عين أستاذاً لكرسى الاجتماع بجامعة عين شمس . ويعتبر البروفسور أولرخ صاحب مدرسة فى البحث . أخلص لها كل الإخلاص حتى توفى بالقاهرة فى سنة ١٩٥٦ .

أما عن موضوع هذا الكتاب الذى أقدمه ، فليس موضوعاً جديداً يكتب فيه لأول مرة ، بل الواقع أنه قد سبقنى إلى الكتابة فيه كثير من الأساتذة المصريين الذين وضعوا فى نفس الموضوع كثيراً من الكتب التى تعتبر بحق اللبنات الأولى فى هذا الميدان . وكتابى بهذا لا يخرج عن كونه جهداً جديداً يضاف إلى الجهود السابقة كما يعتبر مكملا لها فى بعض الحالات ، وأخص من هذه الجهود السابقة ما قدمه الأستاذ الدكتور حسن سعفان فى كتابه « أسس علم الاجتماع » ، والأستاذ الدكتور مصطفى الخشاب أستاذ الاجتماع بجامعة القاهرة ، فى كتابه « علم الاجتماع ومدارسه » ، والدكتور محمد عاطف غيث مدرس علم الاجتماع بجامعة الإسكندرية فى كتابه « علم الاجتماع » . كما أضيف إلى هذه الجهود السابقة ما ساهم به عدد من الأساتذة عن طريق ترجمة أهم ما كتب فى هذا الموضوع فى الخارج ، وأخص منهم الأستاذ الدكتور على أحمد عيسى حين ترجم إلى العربية كتاب (المجتمع) لماكيفر وبيج فى سنة ١٩٥٧ ، والأستاذ الدكتور السيد محمد بدوى أستاذ الاجتماع بجامعة الإسكندرية بترجمة كتاب « المدخل فى علم الاجتماع » لرينيه مونييه فى سنة ١٩٥٠ ، كما قام بترجمة كتاب « مقدمة فى علم الاجتماع » لأرمان كوفيليه فى سنة ١٩٦٢ بالاشتراك مع الأستاذ عباس الشربينى المفتش بوزارة التربية والتعليم وخريج معهد العلوم الاجتماعية . كما قام الدكتور فؤاد زكريا أستاذ الفلسفة المساعد بجامعة عين شمس بترجمة كتاب (علم الاجتماع) لموريس جنزبرج فى سنة ١٩٦٠ .

وليست هذه هى المرة الأولى التى أكتب فيها هذا الموضوع ، فلقد سبق لى ذلك فى سنة ١٩٦٢ حينما اشتركت فى وضع كتاب (أصول علم الاجتماع) مع الدكتور مصطفى الخشاب والدكتور محمد طلعت عيسى مدرس الاجتماع بجامعة القاهرة والدكتور عبده الحولى أستاذ الاجتماع المساعد بالجامعة الأمريكية بالقاهرة . والدكتور عبد الباسط حسن مدرس الاجتماع بمعهد الخدمة الاجتماعية بالقاهرة، كما اشتركت قبل ذلك فى عام ١٩٦١ فى كتاب آخر بعنوان (مذكرات فى علم الاجتماع) مع الدكتور مصطفى فهمى مدير الليسيه بالإسكندرية والأستاذين حسن كمال لطفى وعبد الرازق المكى من خريجى معهد العلوم الاجتماعية . أما أول محاولة لى فى ذلك فكانت كتاب (علم الاجتماع) الذى وضعته فى سنة ١٩٥٤ بالاشتراك مع زوجتى السيدة رحمية عيسى رئيسة قسم بوزارة التربية والتعليم، والأستاذ مصطفى الجندى رئيس مدينة ديرب نجم ، والأستاذ حسن كمال لطفى المدرس الأول بدور المعلمات ، وقد وضعنا هذا الكتيب عقب تخرجنا جميعاً من معهد العلوم الاجتماعية .

وعلى الرغم من كل ما كتب فى موضوع هذا الكتاب ، فإنى ما زلت أعتبره موضوعاً بكراً ، إذا قيس بما كتب فيه باللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية وغيرهما مما لا يزال معه مجال هذا العلم مفتوحاً لدراسات أخرى كثيرة لا بد أن تأخذ مكانها يوماً ما فى المكتبة العربية .

لقد وضعت هذا الكتاب فى ثلاثة أبواب رئيسية هى على التوالى : المدخل لعلم الاجتماع ، وتاريخ التفكير الاجتماعى ، وطرق البحث فى علم الاجتماع . ولقد كان فى الإمكان أن ينفرد كل من هذه الأبواب بكتاب مستقل ، ولكنى فضلت أن أجمعها كلها فى كتاب واحد نظراً لترابط موضوعاتها ووجوب تقديمها كوحدة متماسكة ، ونحن فى مستهل دراستنا لعلم الاجتماع الذى تميزت نشأته بارتباط دراساته بتحديد طرق البحث المناسبة له كعلم جديد بين العلوم ، كما لا يخرج تاريخ التفكير الاجتماعى عن عرض للمراحل التى اجتازها هذا العلم فى نشأته ونشأة طرق البحث الخاصة به .

ويشتمل كل باب من هذه الأبواب الرئيسية على عدد من الفصول التى يدرس كل منها ناحية معينة ، وقد اكتفيت فى كل باب بعدد من الموضوعات الهامة ، والكتاب بذلك لم يطرق كل الموضوعات التى تدخل فى نطاق علم الاجتماع ، وإنما تلك التى رأيت

وجوب الإلمام بها كخطوة أولى لدراسة المجتمع الإنسانى. وقد اخترت لترتيب هذه الفصول نوعاً من التسلسل المنطقى الذى يتفق وظهور موضوعاتها، فالفصل الأول من الباب الأول يهدف إلى تعريف الطالب بعلم الاجتماع ووضعه بين العلوم الاجتماعية الأخرى ، ثم تعريف لهذا العلم كما انتهى إليه العلماء فى هذا الشأن . ويهتم الفصل الثانى بالمجتمع الإنسانى ، نشأته وأشكاله ووظائفه ، وأخيراً ما نشأ نتيجة لهذه التجمعات مما يتمثل فيما اصطلح عليه من تسميات كالتنظيم الاجتماعى والبناء الاجتماعى والنظام الاجتماعى . ونظراً لتشعب هذه الموضوعات وتعقدها فقد أفردنا لها عدداً من الفصول التى تدرسها بشىء من التفصيل ، فيدرس الفصل الثالث كلا من التنظيم الاجتماعى والبناء الاجتماعى ، ويدرس الفصل الرابع النظم الاجتماعية عامة ، كما اخترت عدداً من النظم البارزة فى المجتمع كنماذج لهذه النظم ، وخصصت لذلك الفصل الخامس لدراسة النظام الاقتصادى ، والفصل السادس لنظام الأسرة ، والفصل السابع لنظام الزواج ، وإذا انتقلنا إلى الفصل الثامن نكون قد انتقلنا إلى موضوع أساسى آخر هو العمليات الاجتماعية ، ولا يضم هذا الفصل كل أنواع هذه العمليات اكتفاء بعدد من العمليات الرئيسية التى يهم الطالب الإلمام بها ودراستها وهى عمليات التعاون والمنافسة والصراع والتوفيق والتمثيل . أما الفصل الأخير من الباب الأول وهو الفصل التاسع فقد خصصته لدراسة النظام الطبقى ، وهى ناحية اجتماعية هامة ممثلة فى جميع المجتمعات الإنسانية قديمها وحديثها ، البدائى منها والمتحضر . ولقد تعرضت فى هذا الفصل للأشكال الطبقية الرئيسية الثلاثة ، وهى النظام الطائفى الذى يستمد كيانه من النظام الدينى السائد ، ثم النظام القانونى الذى يقوم على أساس ما يحدده القانون فى هذا الشأن ، وأخيراً النظام العرفى الذى لا يقوم على أساس دينى أو قانونى معين وإنما على أساس من العرف السائد بين الناس .

ويتضمن الباب الثانى من الكتاب وعنوانه (تاريخ التفكير الاجتماعى) عدداً من الفصول التى تستعرض نشأة وتطور التفكير الاجتماعى منذ أقدم العصور إلى أن انتهى به الأمر بظهور علم الاجتماع بوضعه الحالى كعلم موضوعى تجريبى نظرى . شأنه فى ذلك شأن العلوم الطبيعية الأخرى . وقد استقل الفصل الأول بدراسة نشأة هذا التفكير وتطوره ، دون أن تتبع هذه النشأة فى كل بلاد العالم اكتفاء بعدد من البلاد التى اعتبرناها رائدة لغيرها فى ذلك . وهذه البلاد هى مصر واليونان والإمبراطورية الرومانية ، كما أفردنا فصلا خاصاً لدور الفكر الاجتماعى الإسلامى فى هذا المجال ومثلنا باثنين من رواد هذا الفكر

فى العالم الإسلامى ، هما الفارابى وابن خلدون، وما ساهما به من نصيب بارز فى توجيه الدراسات التى تتعلق بالمجتمع . انتقلنا بعد ذلك إلى الدراسات الاجتماعية التى تعتبر ممهدة لظهور علم الاجتماع ، وخاصة ما تعلق منها بالسياسة وفلسفة التاريخ وإصلاح المجتمع ، وقد مثلنا لكل ذلك بأبرز من كتبوا فى هذه الدراسات أو فلسفوا حولها ، وقد استغرق ذلك الفصل الثالث كله . أما الفصل الرابع بعنوان (نشأة علم الاجتماع) فقد اشتمل عرضاً لنشأة هذا العلم فى العصر الحديث على يد عدد كبير من روواده الذين اخترت منهم أربعة لتقديمهم فى هذا الكتاب ، وهم أوجيست كونت وإميل دوركايم فى فرنسا وهربرت سبنسر فى إنجلترا وفرديناند تونيز فى ألمانيا ، مع الإشارة إلى أهم ما ساهموا به من دراسات تتعلق بهذا العلم الجديد .

وفى مجال دراستنا لطرق البحث الاجتماعى فقد خصصت لذلك الباب الثالث من الكتاب ، ويشتمل على أربعة فصول يبحث الأول منها فيما يجب أن تتميز به الدراسات الاجتماعية من اتجاهات معينة تبعدها عن الطابع الفلسفى والذهنى الذى تميزت به هذه الدراسات فى المرحلة السابقة لنشأة علم الاجتماع ، ذلك الطابع الذى عطل علم الاجتماع عن أن يحتل وضعه المناسب بين العلوم الأخرى لفترة طويلة من الزمن ، ويهتم الفصل الثانى بتحديد المناهج المستخدمة فى الدراسات العلمية الاجتماعية ، وهى مناهج المسح الاجتماعى ، والبحث الاجتماعى ، وبحث الحالة والمنهج التاريخى ، وأخيراً المنهج التجريبى ، كما رأيت أن أمثل بشىء من الاختصار بعدد من البحوث التى أجريت وفقاً لكل منهج منها .

ولما كان كل منهج من المناهج السابقة يرتبط بطريقة أكثر للحصول على البيانات المطلوبة للبحث ، فقد تعرضت فى الفصل الثالث لأهم هذه الطرق، ومنها طريقة المقابلة الشخصية التى يحصل بها الباحث على البيانات اللازمة عن طريق مقابلته الشخصية للأفراد موضوع الدراسة ، وطريقة الاستبيان التى لا تعتمد على المقابلة الشخصية وإنما على الاتصال البريدى فى العادة ، وطريقة الاتصال التليفونى وهى تعتبر فى هذا المجال أحدث من الطريقتين السابقتين ، وأخيراً تعرضت لطريقة الملاحظة وهى أقدم الطرق كلها ، وذلك حين لم يكن أمام الإنسان غيرها لكى يحصل على ما يريد من بيانات ، ولكنها برغم قدمها لا تزال تستخدم إلى يومنا هذا كطريقة مكملة للطرق السابقة على

الأقل . وقد راعيت فى عرضى لكل هذه الطرق أن أشير إلى نقط القوة والضعف فيها، أو إلى مزاياها وعيوبها .

وقد خصصت الفصل الأخير من الباب الثالث من الكتاب أيضاً لدراسة العينات وطرق اختيارها . وهى عنصر هام فى البحوث الاجتماعية فى الوقت الحاضر ، حيث لا يمكن لأغلب البحوث الاجتماعية أن تتم على كل المجموعة التى يدخل البحث فى نطاقها، مما أوجب ضرورة الاكتفاء بدراسة عينة تختار على أن تكون ممثلة للمجموع الذى اختيرت منه . أما عن طريق اختيار هذه العينة وطرق اختيار وحداتها بعد ذلك تم تحديد حجم العينة المناسب والذى يمكن أن نطمئن إليه إذا أردنا التعميم على المجموع ، فهذا كله هو موضوع هذا الفصل الأخير .

ويود المؤلف أن يعبر عن خالص شكره لمؤسسة الثقافة الجامعية للطباعة والنشر على تعاونها الصادق فى إخراج هذا المؤلف .

وفى ختام هذه الكلمة أرجو أن أكون قد وفقت فى هذا الكتاب ، وأن أكون قد ساهمت به بنصيب فى المجال الاجتماعى العلمى .

والله ولى التوفيق

عبد الحميد لطفى

الإسكندرية فى ١ من يناير سنة ١٩٦٥ .